المحاضرة الثانية:

مدخل إلى النقد العربي الحديث 2

1-لمحة تاريخية عن بدايات النقد العربي

عُرف النقد العربي الحديث في العصر الجاهلي بأحكامه العفوية المتوائمة مع روح البداوة السائدة، وشيوع الأحكام الانطباعية كذلك التي لا تستند لأصول أو قواعد يتبعها الناقد الأدبي.

امتدت الحركة النقدية إلى صدر الإسلام الذي يعد امتدادا لحركة النقد الأدبي في الجاهلية، فلم يكفوا عن النظر في الشعر والمفاضلة بين الشعراء إلاّ أنّه هنالك فرق ملموس يشهد في هذه الفترة النقد الأدبي وتميّز عن سابقه من خلال ما قام به النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإعطاء الشعر قيمة إسلامية مغايرة للطريقة الجاهلية في قرض الشعر، وصار الحكم في هذا العصر الإسلامي على الشعر (العمل الأدبي) مطابقته للحق مقياسا للنقد الأدبي.

على الرغم من إبقاء النقد الجاهلي وسمته ظاهرة على النقد الأدبي في صدر الإسلام فبقي نقدا فطريا مجردا عن التعليل.

إذا تحدثنا عن النقد الأدبي في العصر الأُموي فعرف ببيئاته الثلاث: الحجاز، والعراق، والشام، فلقد شهد هذا العصر تطورا لكل من الأدب والنقد الأدبي وذلك بفعل عوامل جديدة طرأت على هذه المجتمعات، نلمح على النقد الأدبي في هذا العصر تركيزه على مواطن الضعف والقوة في شعرهم واستند النقاد على الذوق الفطري الخالص في إصدار أحكامهم.

لنلمح في العصر العباسي ارتقاء النشاط النقدي لظهور عوامل سمحت بهذا التطور، حيث برزت القواعد اللغوية والبلاغية، والفنية التي انطلق النقاد منها كمقاييس في نقد الأعمال الأدبية، وبعد انقضاء العصر العباسي (العصر الذهبي)، سقط النقد الأدبي في غياهب ومتاهات وظلومات دامسة، فقد ألّم به التحجر والجمود ليسبح بذلك في عقم فكري عاشته الأمة العربية تحت مسمى الانحطاط والضعف على مستوى الأدب والنقد الأدبي العربي لتتفشى الصنعة اللفظية (التنميق اللفظي).

نستنتج مما سبق أنّ النقد الأدبي العربي عبر عصوره القديمة مرّ بمراحل ممتدة من التطور إلى أن وقع الغزو المغولي وسقوط الدولة العباسية فنلمح تراجعا للأدب العربي ونقده. يسعى ثُلة من الأدباء والنقاد العرب فيما بعد في العصر الحديث تحت ما يطلق عليه بالنقد الأدبي العربي الحديث إلى النهوض بهذا الأدب والنقد الأدبي العربيين بربطه بالتراث العبي القديم، لإعادة بعثه وبثّ الحياة فيه من جديد.

نخلص مما سبق ذكره أنّ النقد العربي الحديث بفضل العوامل النهضوية التي ساهمت في بلورة النقد الأدبي والأدب إلى بناء تصور نقدي عربي ينتمي إلى رؤيتين أحدهما: تدعو للصلة بالتراث العربي، والأخرى تهدف إلى الانفتاح على الثقافات الغربية (من آداب ومناهج نقدية) ليتسم النقد الأدبي العربي الحديث بصيغة جديدة تُخالف ما عرف بالسابق حول النقد العربي القائم على التعليل والتحليل البسيط، وإنّما معالجته للنصوص الأدبية وفق منظور الظروف الخارجية المتسببة في إنتاج هذه الأعمال الأدبية (النفسية، الاجتماعية، التاريخية، السياسية).

أ–الرؤية الأولى: الدعوة للبعث والاحياء والصلة بالتراث العربي والنهوض بالنقد العربي الحديث، تتجسد هذه الرؤية الأحيائية جملة من النقاد الذين ساهموا في بلورة هذه الرؤية من خلال ما تم تأليفه، ونذكر أحمد حسين المرصفي الناقد المصري الذي يعد من أوائل من اهتموا بالنهضة النقدية عربيا من خلال تأليفه كتاب (الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية)، وإن سبقه للريادة الشعرية محمود سامي البارودي، حيث خص جانبا من هذا الكتاب للتطرق للقدامى من حيث الأساليب واللغة، والبناء العمودي.

ب–الرؤية الثانية: الانفتاح على الثقافات الغربية والمناهج النقدية، تمثل هذه الرؤية النقدية ثُلم من الجهود النقدية التي كانت تصور هذه الفكرة التجديدية لنلمح إرهاصات الأولية من خلال مبادرة الشاعر أحمد شوقي الذي كان من الشعراء المخضرمين فكان من دعاة الإحياء وفي تنقله للدراسة وانفتاحه على الآداب الغربية، وتأثر ودعا للحاق بهؤلاء الأدباء للارتقاء بالأدب العربي، ثم تليه جملة من الجهود مثلها كل من: عباس العقاد وعبد القادر المازني في مؤلفهم (الديوان في النقد والأدب)، وأيضا جهود جماعة أبولو التي ساهمت بمبادراتها التجديدية على مستوى الشعر والنقد الأدبي من خلال مجلة (أبولو)، وبالإضافة لجهود جماعة الرابطة القلمية من خلال مبادرتها التي تجلت على مستوى كتاب (الغربال) من تأليف ميخائيل نعيمة.

ختاما نستنتج مما سبق ذكره أنّ النقد العربي الحديث بقي رهين المتغيرات النقدية الغربية ومتأثرا بها، حيث نجد انفتاح نقادنا العرب في هذه الفترة الزمنية على مناهج نقدية غربية (التاريخي، الاجتماعي، النفسي).